الفصل الثاني

عناصر تكوين الشخصية الإيرانية

إن عناصر القوة والضعف في الشخصية الإيرانية قد تكونت عبر تاريخ طويل، كان من أهمها:

١- الشعور بالانتماء القومي: إن الشخصية الإيرانية ترجع في جذورها إلى العنصر القومي، الذي يوحد انتماءاتها من القبائل الآرية، التي سكنت هضبة إيران، وكونت فيما بعد إمبراطورية فارسية واسعة، تعضدها اللغة الفارسية التي أصبحت عاملًا من عوامل توحيد الأمة في الأدب والشعر والثقافة والفلسفة والتصوف. فالمشاعر القومية التي يعكسها كتاب الشاه نامة للفردوسي تجعل الإيراني في قمة الفخر بانتسابه إلى ملوك الإمبراطورية الأخمينية والساسانية إلى درجة ينضح في هذا الكتاب كراهية العرب، كما أن شعر سعدي الشيرازي والخيام وغيرهم أصبحت مكونات لتعالي الشعور القومي ضد الأمم الأخرى، كما أن الحضارة الإيرانية التي تمثلت بطرق التمدن والعيش من غزل السجاد لإمداد القصور المترفة إلى التعالي بقوة الجسد والسلاح.

٢- الشعور الديني: تكونت في فارس أقدم الديانات من الزرادشتية والمزدكية، التي كتبت تعاليمه في الافستا، استمرت هذه التعاليم منتشرة حتى القرون المتأخرة، ولما اعتنق الإيرانيون الإسلام كان لهم فيه مذاهب دينية وأفكار شتى، تداخلت فيها الفلسفات بالفكر الإسلامي، الذي حمله الفاتحون إلى إيران، فآراء الفارابي وابن سيناء وغيرهم من الفلاسفة أخضعوا الفلسفات القديمة، وحوروها

لإدخالها بالفلسفة الإسلامية تحت تأثير الديانة الفارسية القديمة، ولكن أهم عنصر ديني في الشخصية الإيرانية، هو التشيع المذهبي، الذي اعتنق وشاع عند الحكام الصفويين، فقد قام علماء الشيعة ببناء الشخصية الإيرانية، وطبعها بالطابع الموروث في كتب ومصادر الشيعة القديمة، وأصبح التشيع الإيراني أكثر غلوًّا في الدين وتطورًا، كرد فعل لكراهية العرب ودينهم السني، وكراهيتهم منذ القدم للفاتحين، وهذا العنصر لم يكن سائدًا في إيران قبل الحكم الصفوي، ولكنه اليوم أصبح عاملًا مهمًّا في بناء الشخصية الإيرانية، حينما نقوم بتحليلها السياسي، والرجوع بالجذور الدينية القديمة، التي تشدها للوراء والتعصب وكراهية الآخر.

٣- الفكر اليساري: منذ الثورة البلشفية الشيوعية، انتشر الفكر الشيوعي في إيران في ظل عوامل مختلفة، منها: الغزو الروسي لإيران، واهتمام روسيا بهذه المنطقة، التي توصلها إلى الخليج العربي، فقد نشأ في إيران حزب توده الشيوعي، وأحزاب يسارية أخرى، نادت بالاشتراكية، ولاقت آذانًا صاغية عند عموم فقراء إيران، الذين يكونون الغالبية من الشعب، وإلى حد كبير ارتبط التشيع بالشيوعية، كما حصل في العراق في الستينيات من القرن العشرين، فإن أكثر الشيوعيين كانوا من الشيعة، حيث يبدو أن فكر الفرد الشيعي الديني يتسامح، وربما يلتقي بالفكر الشيوعي في بعض توجهاته على خلاف الفكر السني.

٤- تعدد الأجناس والقوميات: إن العنصر الفارسي في إيران يسكن في الغالب وسط الهضبة الإيرانية، بينما يحيط به من الجهة الغربية الجنوبية الجنس العربي، المكون لبلاد الأحواز، والبالغ حوالي ١١ مليون نسمة، وفي الشمال بلاد الكرد والآذاريين، البالغين حوالي ٤ ملايين نسمة، وفي

الشرق البلوش، البالغين حوالي ٣ ملايين نسمة، وبقية الإيرانيين من الفرس والتركمان، مع أقليات أخرى من ديانات وأجناس مختلفة، وهذا التعدد يجعل في الشخصية الإيرانية فروقًا وانقسامات، في أغلبها تؤدي إلى مؤثرات تسهم في إضعاف الشخصية الإيرانية من الداخل.

٥- الفروقات الاقتصادية: يوجد في المجتمع الإيراني فروقات اقتصادية، سببتها عوامل مختلفة، فأكثرية البلوش والعرب من الفقراء والعمال، وأكثر الأغنياء من العناصر الفارسية والتركمانية، وهم الذين يحركون النشاط الاقتصادي وفي البازار.

٦- الفكر الصوفي: منذ عهد السلاجقة انتشر مذهب التصوف في إيران، وفرض على الشخصية الإيرانية الاعتقاد بالروحانيات والغيبيات والمعجزات، وانتقل هذا الأثر إلى التشيع الإيراني على يد علماء من أمثال السهروردي والملا صدرا والشيرازي، ففي الشخصية الإيرانية: تواضع صوفي، وسلاسة في الانقياد، وطول بال، وعدم تسرع في بلوغ الأهداف البعيدة، وقد بحثنا هذا الموضوع بتوسع في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على الشيعة الإثنا عشرية).

٧- انعزال الشخصية الإيرانية عن العالم الإسلامي: منذ إعلان الدولة الصفوية بأن مذهب الشيعة الإثنا عشرية، هو المذهب الرسمي واضطهاد مذهب السُّنة، هذا الوضع أدخل الإيرانيين في عزلة عن بقية المسلمين، لأن غالبية المجتمع الإسلامي هم من السُّنة، ومن جهة أخرى، فإن العرب ينظرون للإيرانيين منذ القدم بوصفهم موالي، أدنى في المرتبة على الرغم من أن عموم قواعد الإسلام تساوي بين الجميع، وهذا العامل جعل للشخصية الإيرانية حاجزًا، يصعب معه الاختلاط والتفاهم بشكل جيد مع بقية العالم الإسلامي أو العربي.